

## المدارات الشعريّة المتغيرة في شعريات نزار قباني السياسيّة

1. معطى الله محمد الأمين\*

aminmaatalla191@gmail.com

مخبر نظرية اللغة الوظيفية

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)

2. هارون مجيد

majd1221@hotmail.fr

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)

تاريخ الارسال: 2020/10/25 تاريخ القبول: 2020/12/21 تاريخ النشر: 2021/03/01

## الملخص:

إنّ المتربّص بالذاكرة الشعريّة النّزارية سيصادفُ جملةً من المتغيّرات السوسيوثقافيّة التي صاوتت تجربته الإبداعية المتخمة بالانعطافات المفاجئة، التي لطالما اقتدرت على مُحائلة تطلّعات مُريديه، إذ ما فتئت شعريته في بواكيرها الأولى تمتخ من معين الغزليات مُلابنةً لطباع الشعراء القدامى، وتأسياً بطقوسهم في وصال خليلاتهم، بيد أنّ العقد المبرم بين أفق النصّ النّزاري وأفق القراء سرعان ما تمّ إجهاضه، أين عمّد الشّاعر إلى مُزاينة توقّعات قرائه بعدوله عن الشعريات الغزليّة وطرقه للشّعريات السياسيّة وهذا بفعل محتّمات اجتماعيّة طارئة وتحوّلات سياسيّة عميقة شهدتها البلاد العربيّة، وعليه تهفو دراستنا إلى تسييح المتغيّر بمداراته الدلالية الفاعلة، وتُسوّجه البلاغيّة المنزاحة وتراميزه المعاضدة لعداحة السّياق المحايث لتجربة نزار قبّاني الجديدة.

الكلمات المفتاحية: الشعريات السياسيّة، المعايير، نزار قبّاني، المدارات الدلالية، أفق القراء.

## Abstract:

The stalker of the Nizaric poetic memory will face a set of socio-artistry variables that preserved his creative experience replete with sudden twists which have always been able to contradict the hopes of his willing. When his poetry stills I its first early steps, it has been absorbed from water-spring of wooing softening the ancient poets effected with their rituals in conjoining their concubines. However, the contrat between the horizon of the Nizaric text and the horizon of the readers by turning aside from the erotic poetry, and this under the surprising social imperatives and deep political transformations that has the Arabic country witnessed. That's why our study aims to enclosure the variable with its displaced Rhetorical weaving and its supported symbols to the heaviness of the style immanent to the new experience of NizarKabani.

**Key words:** Political poetry, NizarKabani, Antiphrasis, Significant centers, The horizon of Readers.

## مقدمة:

تعرّى الشعريّة النّزاريّة في فصّها السّياسي رُزْمًا مِنَ الإبدالات الوازيّة التي تتعيّن إرساء نُقُلاتٍ فنيّةٍ خاصّةٍ في الفهم والرّؤية والبناء، بما يعيد نصّيًّا فتح أفاق جديدة لأسئلةٍ ثورية مغايرة، تعكّف على تحريض النّصّ الشعريّ للنفكالك من نمطيّة القراءات المتعجّلة وتوصيفات النّاقِدِ المححفة المقيّدِ بمعايير ومقاييس مُستجلبية من نُصوص أو من تجارب شعريّة أخرى<sup>1</sup>، لا تكفل البتّة مُقاييسه المسافات التي شقّها النّصّ الشعريّ الموارب في سبيل إستفراجه بتلك الثّقلات النّوعيّة التي تضمّن له تجديد أصباغهِ الجماليّة ومؤثّراته الصّوتية، وأجراسه الموسيقيّة دوريًّا، فما هي إذن أبرز المداارات الموعول عليها لإذكاء جذوة المغايرة في المتن الشعريّ النّزاريّ؟ وما طبيعة الاستقراءات المتضرّع بها لإقتصاص أثر المغايرة في المنجز الشعريّ الحدائيّ عموماً

## مدارات الانقطاع والمجاورة

لعل ترهلاً البُيّ الثقافيّة العربيّة، وتفشّي عقابيل الهزيمة في دفائن الذات العربيّة المنهوكَة جرّاء النّكبات المتواليّة التي عصفت بالمشروع القوميّ العربيّ، قد أوفى لأن تتصاقب هذه المخرجات مع منازع الكتابة الشعريّة النّزاريّة، مؤذنة بسريان موجاتٍ من الانقطاع في مفاصل الخطاب، حيث أنّ كلّ مكتوبٍ يترسّب يترسّب العنصر الكيماوي، فيكون في البداية شفّافاً بريئاً ومحايداً ثم تظهر ديمومته البسيطة في كلّ ماضيه المؤجّل، وحاضره المتقطّع، وتبرز كلّ شيفراته التي تتكثّف بالتدريج<sup>2</sup>، أي أنّ العلل السيكولوجيّة والتاريخيّة والإجتماعية الثّأوية في وجدان الشّاعر قد أفرزت لنا قصائد مهشّمة، متفكّكة الوصال، متوتّرة المبنى، متشجّحة المعنى.

من هنا يندأح المصطلح في نُحوم الشعريّة الحدائيّة، فالانقطاع وفق تصوّر كمال أبو ديب: "هو نتاج إخفاق المشروع السّياسي والاقتصاديّ لحركة التّحرّر في الوطن العربيّ<sup>3</sup>، ومن ثمة فلا جرم أن يكون الإستدلال التعاقبيّ مقروناً عفويّاً بالإستدلال اللّغويّ لتجدّل الظاهرة في منجزات الشعراء الحدائيّين ذلك أنّ البنية التّجاويزيّة تتمرئ على أديم القصيدة عبر محق كلّ المؤشّرات الموحية بالاتّساق بدءاً بتعطيل الرّوابط النّحوية، فالغاء التّسلسلات الرّمنيّة والفكريّة<sup>4</sup> وصولاً إلى ترجيح كفة الخيال على كفة العقل، وتحييد الدّوال عن مدلولاتها الأصليّة المتواضع عليها، ولأذت الشعريّة النّزاريّة في أحيائين تاريخيّة متوتّرة بمثل هكذا أساليب، إزاحةً للتأويلات الفاصرة التي تستنكف مجاورة الظاهر، وتوريةً للمقاصد المركزيّة، التي تتضامّ مع حدّة النّكوص الدّاهمة، يقول الشّاعر في قصيدته الحاكم والعصفور<sup>5</sup>:

وأنا كالجرذ هنا قاعد

أتقيؤ أحزاني ...

## وأدوس جميع شعارات الطَّبشور

وأطلُّ على بابِ بلادي

مرمياً كالقدحِ المكسور

يَتَرْتَّباً المَقْبُوسُ الشُّعْرِي بِتَلَاوِينِ طَافِحَةٍ مِنَ الصُّورِ الفَنِيَّةِ المِمْصَّةِ فِي التِّيهِ وَالبَدَادَةِ مَعَ انْقِطَاعَاتٍ مَتَكَرِّرَةٍ بَيْنَ تَلَايِبِ الجُمَلِ المِتَسَاوِقَةِ، لِيُؤَوِّلَ السَّنْدُ الشُّعْرِي بِرَمْتِهِ إِلَى أَرْخَبِيَّاتٍ مُتَنَازِعَةٍ، تَكْتَبُ فِيهَا الإِخْتِلَافَاتُ وَتَضْمَحِلُّ المِشْتَرَكَاتُ وَتَصْدَعُ العَتَبَةَ بِفِكْرَةٍ مُؤَدَّاهَا انْطِمَاسَةٌ مَلَامِحِ الشَّاعِرِ الإِنْسَانِيَّةِ، فَتَحْجِيْمُهُ لِأَنَّهُ حَوَّلَتْ لَهُ إِبْتِدَارَ نَسَقِيَّةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ غَاصَّةٍ بِالحِقَارَةِ - أَنَا كَالجُرْدِ - وَتَمَحُورَ مُقَارِبَةِ الشَّاعِرِ الشَّاذَةِ تِلْكَ حَوْلَ بَيَانِ تَشْيُؤِ الدَّاتِ العَرَبِيَّةِ بِإِبْقَاعِهَا الحَقُوتِ المُوَلِّمِ، وَانْسِحَاقِهَا كَمَا يَنْسَحِقُ الجُرْدُ عَقَبَ المِطَارِدَةِ جِزَاءَ طُوفَانِ الإِسْتِبْدَادِ الَّذِي غَمَرَ البِلَادَ العَرَبِيَّةَ، كَمَا أَنَّ التَّمَّاسَ الحِيزِيَّ قَدْ أَوْعَزَ لِلشَّاعِرِ لِأَنَّ يُؤَسِّبَ صُورَتَهُ عَلَيَّ هَذِهِ الشَّكْلَةَ، فَالجُرْدُ يُوصَفُ عَلَيَّ الدَّوَامِ بِأَنَّهُ ظِلُّ الإِنْسَانِ، يَتَقَصَّى بِصُورَةٍ طِفْلِيَّةٍ أَثَارَ الحَرْبِ وَالدَّمَارِ الَّذِي يَتَسَبَّبُ بِهَمَا الغَزْوِ الإِمْبِرِيَالِيِّ وَالحَرْبِ<sup>6</sup>، وَلِكَأَنَّ هَذَا التَّمَاهِي يَحْمِلُ بَيْنَ مُكْتَنَفَاتِهِ إِشَارَاتٌ لِذِئْبَةِ تَسْتَهْدَفُ مُحَاصِرَةَ مَدَارَاتِ التِّيهِ وَالحِرَابِ الَّتِي أُجْبِرُ عَلَيَّ المِكَوْثِ فِيهَا دَهْرًا مَدِيدًا وَحَوْلًا كَرِيئًا، وَلَا يَفْتَأُ الشَّاعِرُ القِيَامَ بِمَنَاورَةٍ تَجَاوِزِيَّةٍ يَهْتَمُّ بِفَعْلِهَا وَاجْهَاتِ القِرَاءِ الاستِطْلَاعِيَّةِ بِرِجِّهِ لِصُورَةٍ نَافِرَةٍ تَعُوزُ لِلرُّوَابِطِ المُنطِقِيَّةِ وَالمُشَاقِّعِ العِلِّيَّةِ الكَافِيَةِ الَّتِي بِمَقْتَضَاهَا تَدْنِمُ مَعَ الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ الأُولَى النَّاتِئَةِ فِي العَنَبَاتِ، فَكَيْفَ لِلأَحْزَانِ القِيَمَةَ الإِنْسَانِيَّةَ المَجْرَدَةَ أَنْ تُورَدَ مُورَدَ المِشْتَفْرِغِ الَّذِي تَتَقَافِزُهُ المَعْدَةُ عَدَاةُ الشُّعُورِ بِالغَثِيانِ، وَهَكَذَا فَإِنَّ كَهْرَبَةَ البُورِ النَّصِيَّةِ الكَبْرَى بِنَسْفِ النُّوَاةِ الإِسْنَادِيَّةِ هُوَ إِسْتِدْرَارٌ لِمَتَقَوِّلٍ مَعْتَمٍ يَنْشُدُ إِسْتِيفَاءَ سِرْدِيَّةٍ مَكْفَهْرَةٍ يَغْدُو فِيهَا الحِزْنَ مَتَجَشِّئًا يَوْمِيًّا تَلْفُظُهُ أَمْعَاءُ الشَّاعِرِ المَحْمُومَةِ.

وَلَا يَنْفُكُ الإِنْقِطَاعُ مُسْتَشْرَبًا فِي مَنَاحَاتِ المَقْبُوسِ الشُّعْرِيِّ حَيْثُ تَتَذَلَّلُهُ صُورَةٌ أَيْقُونِيَّةٌ تَشْخِصِيَّةٌ أَكْثَرَ قِتَامَةٍ مِنْ سَابِقِيهَا وَضَبَّهَا الشَّاعِرُ عُنُودًا فِي سِبَاقِهِ الإِبْدَاعِيِّ لِإِيقَاطِ القَارِئِ عَلَيَّ هَوْلِ الفَاجِعَةِ، فَاجِعَةُ الإِنْسَانِ يَتَشْيُؤُ فِي عَالَمٍ مُشَيِّئًا مَوَاتٍ يَهْتَرِي رَاحِلًا تَحْتَ مَفْعُولَاتِ التَّفْتُّتِ وَالتَّلَاشِي وَالرِّوَالِ<sup>7</sup> كَالقَدْحِ المِشْرُوخَةِ تَمَامًا الَّتِي تَعَكِّسُ بِجَلَاءِ كَدَاحَةِ الشَّاعِرِ العَرَبِيِّ مِنْ وَاقِعِ مُوهِنِ إِسْتِحْالِ عَائِقًا مِنْ مُعِيقَاتِ الكِتَابَةِ الإِبْدَاعِيَّةِ الحِرَّةِ، وَحَائِلًا دُونَ وَصُولِ الشَّاعِرِ إِلَى فُورَتِهِ الإِنْتَاجِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ المِتَخَيِّلُ قَطْبَهَا الرِّئِيسَ .

وَتَسْتَمُرُّ الصَّنَاعَةُ الشُّعْرِيَّةُ النَّزَارِيَّةُ فِي عِبَثِيَّتِهَا المِفْرَطَةِ، إِذْ أَضْحَى جُهْدُ القَارِئِ الوَحِيدِ مَنصَبًا عَلَيَّ لِمَلْمَةِ الشُّتَاتِ المِشْتَحِيلِ الَّذِي عِبْرَهُ تَلْتَمِ اللُّوْحَةُ الشُّعْرِيَّةُ وَتَصَطَّفُ مِشَاهِدُهَا التَّمثِيلِيَّةَ، تَبَعًا لِمُحَفِّزِ دَلَالِيٍّ مُمَاتِلِ، يَزِيدُ مِنْ سَمَاقَةِ البِنْيَانِ المِشْدُودِ بِعِنْوَانِ جَامِعٍ يُجِيلُ إِلَى الشُّفْرَاتِ الحَيَوِيَّةِ المِلتَبَسَةِ بِالسِّيَاقَاتِ الأَحْفُورِيَّةِ اللَّابِثَةِ فِي كَنهِ النَّصِّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَتِهِ قِرَاءَةً عَلَيَّ أَضْرَحَةَ المَجَازِيبِ<sup>8</sup> :

حاولتُ أن أفلعكم ؟

من دَبَقِ التَّارِيخِ

من زُنَامَةِ الأَقْدَارِ . . .

وَمِن قَفَا نَبْكِ . . .

وَمِن عِبَادَةِ الأَحْجَارِ . . .

حاولت أن أفكَّ عن طَرَوَادَةِ حِصَارِهَا

حَاصِرِي الحِصَارِ

تموزُ المقطوعة الشعريّة بسبيل عَرِمٍ من المؤاخذات التي أزجها الشاعر في سياق إستعتابِ العرب لانغماسهم التام في مقدّماتهم التاريخيّة الهكّة ، وإزورارهم عن حاضرهم المعبّأ بالإشكالات المعنويّة.

ولعلّ مداومة الشاعر على تديبِ مطالعهِ بصيغة فعليّة تؤشّر لزمنيّة ماضويّة - حاولت - هو رغبته الجارحة في تبرىء مشروعهِ النهضويّ الذي بالكاد طاله الصّدأ بسبب راديكاليّته المتضمّنة في الأسلوب التّقريريّ - أفلعكم - وإعراض المتلقي عن إقتصاصِ شُعبهِ لما يتبطنه من أنساقٍ خطائيّة مُغايرة لا تستديرُ إلى مخلفات التّاريخ الرّائجة بقدر ما تستاهلُ إلعاء النّمودج والإنكبابِ على بثّ الأطروحات التّجديديّة في تجرّبيّة مُخالفَةٍ لا تعمل على ما يَسْجُحُ على الميوال بل بالإبتكار والتّفرد<sup>9</sup> ، ومن مؤثّلات هذا الإعراض تبصُّع الشّبكة العلائقيّة اللاحمية لمبتكرات أسلوبيّة راكمها الشاعر بطريقة مُهجنّة، ألفيناهما تستعيبُ عن المسترسّلات الشعريّة البائنة المقصد، الفارّهة التّسج بالعلوّ في رسّ أخطايدِ عائرة في أصقاع القصيدة الحدائيّة استشعارًا لمقاربة رولان بارت Rolan part المركزيّة الرّامية إلى جسدنة النصّ حتّى ويكأنّه فضاء إيروسي يتشوّف اللّذة الظرفيّة بالصدع والإنكماش والدّواء الذي يستولي على الدّات في كبدِ المتعة<sup>10</sup> .

وتظلُّ عيون المتلقي شاخصّة ترُقب مُقامرة الشاعر بتأليهِه لِأنا العربيّة على التّبرُّم من دَبَقَةِ تاريخها المؤثّل، إلى هنا فالأمر سيّان ذلك أنّ المتواليّة التّعبيريّة تجري مجرى الإبلاغ المقرّون بالاستعتابِ لكنّ الذي أخلّ بالموازنين وكسر السّلسلة هو إلحاقه لبنيّة لغويّة مُعينة في المنافرة تميّل إلى التّفريغ والإجبار لاسيما وأنّه لا توجدُ مناسبةً جامعةً قطّ بين دَبَقَةِ التّاريخ وزُنَامَةِ الأَقْدَار، فالأولى إرادة بشريّة صرفة تستوجب الخطأ والصّواب، والثّانية تقدير ربّانيّ بموجبه يتمّ الحكم الكليّ الإلهيّ في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزّل إلى البداية<sup>11</sup> .

وعطفاً على ما سبق فإنَّ إقترافَ نزا قَبَّاني لِحَطِيطَةِ المِجَاوَرَةِ باصطِطافِ المَقْدَسِ بالمِستَرْدَلِ جنباً إلى جنبِ حدو النَّعْلِ بالنَّعْلِ يَعدُّ بمِثَابَةِ اللِّحْظَةِ الفَارِقَةِ الَّتِي بِمِقتَضَاها يَنبَلِجُ مَشْرُوعُ شَعْرِيَّةٍ مِتمَرِّدَةٍ فِي الأفقِ تَعْرُبُ عَن المِسيرِ فِي الأَرصِفَةِ المِخَصَّصَةِ للمَارَةِ ، وَلا تَتَقَدَّمُ بِالإِشَارَاتِ الصَّوئِيَّةِ ، بَل تَرنو إلى اِكتِشافِ المِجهولِ وَالحِسدِ وَالمِغامَرَةِ<sup>12</sup> .

وَتَتَنَاءى المِسافاتِ التَّمعِينِيَّةِ بَيْنَ المِتعاطِفاتِ لِحدودِ قِصوى، أَيْنَ فَضَّلَ الشَّاعِرُ هِذِهِ المَرَّةَ مِحاذاةَ مِقطعِ شَعْرِيٍّ عَرَضِيٍّ مُستَرَفِدٍ مِن طَلَلِيَّاتِ امرئِ القِيسِ الذَّائِعَةِ الصَّيْتِ - قفا نَبِك - مَعَ سُلوكِ وَثِيٍّ مُستَنكَرٍ تَمجُّهُ الأَدِيانِ السَّماويَّةِ - عِبادَةَ الأَحجارِ - وَ تَنصَرَفُ رُؤى الشَّاعِرِ التَّقديَّةِ تِلْكَ إلى التَّعريضِ بِقِصائدِ امرئِ القِيسِ الغَزليَّةِ الَّتِي تَوَرِّخُ لِمِيلادِ الشَّعْرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، وَمِن ثَمَّ التَّعويلِ عَلى اِجْتِثائِها مِن ذَاكِرةِ القَرَاءِ المِعاصِرِينَ إِستِواءً مِن عِواقِبِ التَّسَيِّجاتِ الإِبتِسيمةِ الَّتِي اغتَدى النُّقادُ العَرَبِ بِجَترِخِوْها لِحِفاظِ عَلى الدَّورَةِ الحِياتِيَّةِ للشَّعْرِ الَّتِي تَبْتَدِئُ مِن وَصِفِ الدِّيَارِ وَالأَنارِ إلى وَصِفِ النُّوقِ وَالفِيايِ وَمِن وَصِفِ الرُّعودِ وَالبُرُوقِ إلى وَصِفِ الرِّياضِ وَالرِّوادِ، وَمِن وَصِفِ الظُّلْمانِ وَالأَعْيَارِ إلى وَصِفِ الحَيْلِ وَالأَسلِحَةِ<sup>13</sup> .

وَلا مِناصَةَ فِي ظِلِّ هِذا التَّدابِرِ التَّشكيليِّ المِستَفحَلِ فِي البِنِياتِ النَّصائِيَّةِ أَن يَبْلِغَ التَّوَتُّرُ مَداهِ بِاسْتِدعائِ الشَّاعِرِ لَوَقيعَةِ تارِيخِيَّةِ إِغْرِيقِيَّةِ لا تَمُتُّ فِي الظَّاهِرِ لِلثَّراثِ العَرَبِيِّ بِصِلَةٍ، فَمَوقِعَةُ طَروادَةَ العَلامَةُ السِّمِيوِلوِجِيَّةِ النَّاشِزَةُ فِي النَّصِّ فِي بَعدِها الإِيحائيِّ العَميقِ هِيَ المِماعَةُ ذَكِيَّةٌ تَشْرِبُ إلى مُعايِنَةِ مُعضِلَةِ العَرَبِ الحِضارِيَّةِ لِأَنَّهُم تَرَهَّدُوا عَن تَغييرِ نِمْطِيَّةِ تَفْكِيرِهِم وَآثَرُوا التَّترُسَ خَلْفَ ماضِيهِم التَّليدِ كَجُنُودِ إِسِبرِطَةَ تَماماً الَّذينَ فَضَّلُوا التَّواريِ دَاخلِ حِصانِ طَروادَةَ الحَشِيبِيِّ، لَكِنَّها إِستِتارَةٌ مُوقَّتَةٌ دَعَتِها الاسْتِراتِيجِيَّاتِ الحِريَّةِ الحِصيفَةُ فَمِن حِلالِ المِكيدَةِ ظَفَرَ الجُنُودِ بِالنَّصْرِ وَطَرَدُوا العُزاةَ وَفَكَّوا الحِصارَ بِخِلافِ العَرَبِ المِبتَدِّرينَ بِالسُّكُونِ وَالاِنكِفاءِ لِأَجَلِ غيرِ مِسمَى .

وَيَتَسَعَّرُ جُمُوحُ الإِنقِطاعِ فِي القِصِيدَةِ التَّرارِيَّةِ وَتَشيعُ الفِواصلُ الغَرائِبِيَّةُ بِتَحوُّلاتِها العَكْسيَّةِ وَموافِقاتِها الرِّمَنيَّةِ الرَّامِيَّةِ إلى تَشْطِيطِةِ المُقولِ الشَّعْرِيِّ وَفوقِ مِساراتِ مُتعارِجَةٍ، وإِشاراتِ صُورائِيَّةِ مُتَنابِذَةٍ، مُتَشِحةِ بِغِلالَةٍ مِن الفِوضَى لا تَمَثِّلُ لِلقِوانينِ الشَّعْرِيَّةِ السَّائِدَةِ بِثِقَلِها الأَدائِيِّ وَمَنهَجِها المِعياريِّ الصَّارِمِ .

يقول الشَّاعِرُ فِي قِصِيدَتِهِ مِنشوراتِ عَلى جُدْرانِ فِلسطِينِ<sup>14</sup> :

لأنَّ مُوسى قُطِعَت يَداهُ

وَلَمْ يَعدُ يُتَقِنُ فَنَّ السَّحْرِ

وَلأنَّ مُوسى كُسيرَت عَصاهُ

وَلَمْ يَعدُ بِوَسعِهِ شَقُّ مِياهِ البَحْرِ

وَلأنَّكُمْ لَسْتُمْ كَأَمريكا

ولسنا كاهنود الحُمُرِ

فَسَوْفَ تَهْلِكُونَ عَنْ أَحْرَكِمِ

فوق صحاري مصر

مِمَّا لَا مِرَاءَ فِيهِ أَنَّ الشَّاعِرَ لَا يُمَكِّنُهُ بِأَيَّةِ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يَدْوَرَ عَنِ تِقَانَةِ التَّنَاصِ فِي حَبِكِ بِنَيْتِهِ الْخِطَابِيَّةِ وَتَطْرِيزِ حَوَاشِيهَا بِالْمُعْتَمَتَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ الْفَرِيدَةِ كَوْنِ التَّنَاصِ يَشْكَلُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ إِنْتَاجِ التُّصُوصِ وَتَنَاسُلِهَا، بِحَيْثُ تَتَفَاعَلُ هَذِهِ التُّصُوصُ وَتَتَشَابِكُ لِتَحْسِدَ لَنَا فَضَاءَ دَلَالِيًّا يَشْكَلُهُ النَّصُّ الْجَدِيدُ<sup>15</sup> .

وما عادت التّعالقات النّصيّة التّقليديّة القائمة على المطابقات الدّلالية، وكذا إستئناف طُقوس المعارضات المتّجهة صوب إحياء تجارب شعريّة ماضويّة وإعادة تَهْضُمِهَا فِي قِوَالِبِ لُغَوِيَّةِ ضَيْقَةِ الْأَفْقِ ضَحْلَةَ الْمَعْنَى تَسْتَهْوِي رُؤَادَ الْقَصِيدَةِ الشّعريّة الحداثيّة لِمَا فِيهَا مِنْ سَلْبٍ مُضِنٍ لِمُتَخَيَّلَاتِ الشّاعِرِ الْمُتَرَامِيَةِ الْأَبْعَادِ وَمَذَاهِبِهِ الْفَنِيَّةِ النَّاحِرَةِ بِصِيغَتِهَا الْحَوَارِيَّةِ الْجَادَّةِ مَعَ مُفْرَزَاتِ عَصْرِهِ الْمُلْتَمَعِ بِالْفَوَاجِعِ الْوُجُودِيَّةِ، وَحَقِيقُ بِنَزَارِ قَبَّانِي فِي ضَوْءِ تِلْكَ الْمَقَرَّرَاتِ الْمَسْكُونَةِ بِهَا جَسَ التّجديدِ أَنْ يَمِيدَ تُحُومَهُ الشّعريّة لِتَجْتَاحَ عَلَى عَجَلٍ مَرَايَ النَّصِّ الدّينيِّ، وَتَعْتَصِرَ مَضَامِينَهُ الْمَقْدَسَةَ، بَلْ وَتُغْمَعَنَّ فِي تَدْمِيرِ بُنَاهِ الْأَصْلِيَّةِ بِالضَّخِّ فِي أَوْدَاجِهِ مَدْلُولَاتٍ جَدِيدَةٍ مُجَانِفُ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ الْمَسْتَحْصَلِ عَلَيْهِ بِالْقَرَائِنِ الْلُغَوِيَّةِ الشّارِحَةِ، وَبِالتَّوَسُّلِ بِمُسْتَرَشِدَاتِ أَسْبَابِ التّزْوَلِ الثّأْوِيَّةِ فِي كُتُبِ التّفَاسِيرِ .

لقد أكبّ الشّاعر على إصطناع سرديّات مُغايرةٍ لما استودعته آي القرآن من مشاهد تحضُّ صدام موسى بفرعون وما تلاه من تفكُّك سُدَّةِ الْخِطَابَاتِ الْمُتَعَالِيَةِ نَتِيجَةَ خُتُوفِ أَيْقُونَاتِ الطُّغْيَانِ ( فرعون ، هامان ، السّحرة ) بتجريدِهِ لِلْحَقَائِقِ الْمُسْلَمِ بِهَا وَتوكيده بأنّ موسى لم يُرهب السّحرة ، ولم يظفر بإقرارهم بالهزيمة يوم الرّينة وهذا ما تُفنّده الآية القرآنيّة جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً " فَأَلْقَى السّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى " طه الآية 70 ، فالسُّجُودُ عِلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِسْتِكَانَةِ وَالْحُضُوعِ الْمَطْلُوقِ بِسَبَبِ إِنْهَارِ السّحْرَةِ بِحُجَجِ مُوسَى الدّاحِضَةِ لِتَخْرُصَاتِهِمُ الَّتِي مَا بَرِحَتْ تُفْرِعُ أَعْيُنَ النَّاسِ طَوَالًا بِالتَّخَيُّلَاتِ الرَّائِعَةِ وَالْحَدْعِ الْبَصْرِيَّةِ الْمَاكِرَةِ .

وتتعاظم جريرة الخرق القرآنيّ القادحة لإسْتِهَامَاتِ نَوْعِيَّةِ تَلْفُظُهَا إِعْتِرَاضَاتِ الْقُرَاءِ إِزَاءَ تَلْفِيْقِ تَدَاعِيَاتِ الْحَدِثِ بَرْدًا أَمَارَاتِ غَوَائِلِهِ إِلَى النَّبِيِّ مُوسَى الْمَجْدُومَةِ يَدَاهُ فِي التّخْرِيجَةِ النَّزَارِيَّةِ تَعَزِيرًا لِمَا بَدَرَ مِنْهُ ، وَالصَّوَابُ أَنَّ السّحْرَةَ هُمْ مِنْ قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ " قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السّحْرَ ۗ فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى " طه، الآية 71 ومقصود فرعون من أسلوب الإستنكار إقناع الحاضرين بأنّ موسى لم يأت بما يعجز السّحرة إدخالاً للشكّ على نفوس الذين شاهدوا الآيات ، وهذه شنيئة من قديم الرّمان إخلاف المغلوب بارِدِ الْعُذْرِ<sup>16</sup> .

وعود على بدء فإنّ التلاعب بمجريات القصص القرآنيّ ليس إيقاداً لعوارض المنازعة ، مُنازعة القرآن في أسلوبه الرائق ونسجه الرّصين وبلاغته المعجزة ، ولا تسفيهاً لما حواه من مقدّمات تستهدف إرداء مكايل الشرّ وإذاعة نواميس الحبر ، بل إحلالاً لفقهيات الموارد بصنيعها المغاير ومرجعياتها الضّامرة التي تتأبى المماثلة وتحرّز من السُّفور والمكاشفة ، فالتشويه الذي طال النّصّ القرآنيّ غايته الإستخفاف بالمقاربات السياسيّة الصُّهيونيّة الرّامية إلى شرعنة الاستيطان الغاصب لفلسطين بالتّحجّي على ميراث موسى وتطويع كوامنه تبعاً لمراذهم ونزولاً عند مآربهم الفظة الصّادة عن حقوق الفلسطينيين في تملك الأرض وحرثها والانتفاع بغلالها، وعليه فقد تعمّد الشّاعر إرباك السنن مهاتفاً لنسخة موسى المزوّرة المنسلّة من خيالات الأدبيّات الإسرائيليّة ومن ثمّ تعويمها في مدارات تحيبيّة، إغاضة لهم كون العصا المكسورة واليد المجدومة إيماءة إلى فشل المشروع الاستيطانيّ ونذيرٍ بانكشاف المساعدات الغربيّة وتلّين الدُّروع الواقية، في مقابل تجذّر الوعي المضاد للهيمنة في البنية الشعوريّة العربيّة .

ولا تفتّر العدسة التصويريّة النّزاريّة تلقي الضّوء على زوايا التّاريخ المظلمة إستيناساً بطبقات الحكي المتقاطعة فمن سرد قصص موسى واليهود في الأسفار البائدة إلى النّبش في طوايا الإبادة الجماعيّة متمثلاً أطوارها التراجيديّة ومستشعراً فوادحها الإنسانيّة، لا لإخراج الدّفين من قُمقمه، بل انتفاءً لتبعات المغالبة ودرءاً لمقايض المضايقة، أي ترغيم الذات العربيّة على عدم الإذعان لفواجع التّاريخ المستنسخة كي لا يُعدم أثرها، وتُستأصل أرومتها وتُصدّر مقدّساتها رضاً بما صنعه الغرب بأرض الهنود في القرون الوسطى الحالكة .

وبالتطواف في نطاقات الشعريّات الغزليّة السّالفة العهد أي قبيل الإرتداد إلى باحات الشعريّات السياسيّة، نرى الشّاعر يتمحّل مذهبا عدولياً، يتعيّن معافرة الوصّلات المنطقيّة إستشرافاً لنزوات الحسّ المتقلّبة التي ما انفكت تبحر عن تقويمات جماليّة جديدة ترتأدها القصيدة بعيداً عن ضنى المقحمات الإدراكيّة ومعاسف المقايسات العقلية كما في مقطوعته الشعريّة المنسلّة من قصيدة ليلة في مناجم الذهب<sup>17</sup> :

جِسْمُكَ مَقَامٌ عِرَاقِيٌّ قَدِمَ

وَقَهْوُهُ وَهَالُ

وَأَمْطَارُ لَوْلُو كَرِيمِ

وَإِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسْرِفُ نَزَارُ قَبَائِي عَلَى حُبُوبِيهِ فَيْضًا مِنْ الْأَوْصَافِ الْحَسِّيَّةِ الَّتِي حَاوَلَتْ حِيَاكَةَ خَرِيطةً جَسَدٍ يَتَلَقَّعُ فِي الْقَصِيدَةِ بِسَرَابِيلٍ مِنَ الْغَوَائِيَّةِ الْمُثِيرَةِ الْمُتَضَوِّعَةِ بِأَرِيحٍ مُعْجَمٍ حَسِّيٍّ خَالِصٍ انْتَقَاهُ الشّاعر من خَبَرَاتٍ بِيئته الشّاميّة التي أجاد



تَشْدِيدِهَا فِي نَصِّهِ، فَمَحْبُوبُهُ مُسْتَوِيَةٌ وَمَعْتَدَلَةٌ كَاعْتِدَالِ الْمَقَامَاتِ الْعِرَاقِيَّةِ الشَّدِيدَةِ، صِهْبَاءُ كَلُونِ الْقَهْوَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَلَسَاءُ كَقَنْيْنَةَ الْهَالَةِ الْعَطْرِيَّةِ، وَعَلَى حِينِ غَرَّةٍ وَدَوْنَمَا تَنْبِيهِ يَرْتَدُّ الْمَشْهُدُ الشَّعْرِيُّ الْمُرْبِكُ بِتَمُوجَاتِ الْجَسَدِ عَلَى آثَارِهِ سَانِحًا بِإِقْتِحَامِ عَالِمِ الْوَعْظِ عَالِمِ الرُّومَانِسِيَّةِ، إِذِ اسْتَرَجَعَ الشَّاعِرُ مَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَصْدِيرِهِ لِرِسَالَةٍ دَعْوِيَّةٍ تَرْقُبُ عَدُولَ مَمْلَكَةِ سَبَأَ عَنِ عِبَادَةِ الشَّمْسِ وَالْإِلْتِفَاتَةَ لِعِبَادَةِ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ { إِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } النمل، الآية 30، إِنَّ لُغَةَ الْإِقْتِحَامِ التَّنَاصِيَّيِ الَّتِي تَوَاصَى بِنَهْجِهَا الشَّاعِرُ وَالْمَخْلَعَةُ بِتَضَافُرِيَّةِ الْمَبْنِيِّ وَاعْتِدَالِيَّةِ الْمَعْنَى هِيَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْمُنَاوَرَةِ الَّتِي تُسَهِّمُ فِي إِثَارَةِ الدَّهْنِ الْقَرَائِيَّ وَتَنْشِيطِهِ وَتَحْرِيرِهِ مِنَ الضُّوَابِطِ الْعَقْلِيَّةِ، فَضِلًا عَلَى تَمَثُّلِ الدَّهْنِ تَمَثُّلًا حَسِّيًّا وَدَفْعِهِ إِلَى مَنْطِقَةِ الْحَرَكَةِ وَالتَّدْفُقِ وَالْحَرِيَّةِ<sup>18</sup> حَدًّا يَقِيمُ بِهِ شَبَكَاتِهِ الْإِسْتِدْلَالِيَّةَ، وَمَعَابِرِهِ التَّأْوِيلِيَّةَ، وَمَعَاوِلِهِ التَّحْلِيلِيَّةَ الْخَاصَّةَ النَّافِذَةَ إِلَى مَطَّانِ التِّيَمَاتِ الْأَسْلُوبِيَّةِ الْكَبْرَى وَالتَّرَامِيزِ الْخِصْبَةِ الْمُؤَطَّرَةِ لِلزُّمْرِ الدَّلَالِيَّةِ الْمُتَنَابِلَةِ فِي أَصْفَاعِ الْقَصِيدَةِ الْمُعْتَمَةِ وَشِفْرَاتِهَا الْمُحَقَّلَةِ.

### ثانيا : مدارات الكوميديا

لعلَّ من فَوَائِضِ الْقَوْلِ وَنَوَافِلِ الْإِيضَاحِ أَنْ يُؤَوَّبَ الْبَاحِثُ إِلَى تَحْسُّسِ الْمُنَابِتِ الْأَصُولِيَّةِ الْمَفْضِيَّةِ إِلَى شُبُوعِ حَسِّ الْفُكَاةِ فِي مَضَامِينِ الْقَصِيدَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْحَدَائِيَّةِ، وَفَقَ عَمَلِيَّةِ اسْتِقْرَائِيَّةٍ مُطَّرَدَةِ الْإِنْعِكَاسِ حَيْثُ كَلَّمَا تَوَالَتِ النَّكَبَاتُ وَتَرَاحَمَتِ النُّكُوصُ وَالْبَلَايَا عَلَى جَسَدِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَمَعْنَ الشُّعْرَاءُ فِي تَصْمِيمِ إِحْدَائِيَّاتِهِمُ الشَّعْرِيَّةِ بِنَاءً عَلَى تِكْنِيكَ لِعُيُوقِيٍّ مُحَاتِلٍ يَقُومُ عَلَى هَنْدَسَةِ الدُّعَابَةِ وَالْهَزْلِ عَسَى أَنْ يَخْفَفَ مِنْ وَطْأَةِ الصَّدْمَةِ الَّتِي يَرِزُحُ تَحْتَهَا الْمُتَلَقِّي الْعَرَبِيُّ .

وَحَدِيدٌ بِالشَّاعِرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ يَجْمَلَ رِسَالَةً تَحْرِيرِيَّةً تَطْهيريَّةً هَدَفَهَا إِعَادَةَ الْإِتْرَانِ الدَّاخِلِيِّ لِلذَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَكْلُومَةِ، كَمَا أَنَّ وَصَالَهُ بِمُرِيدِهِ يُعَدُّ مُجَازَفَةً حَقِيقِيَّةً فِي ضَوْءِ الْمَشْوِشَاتِ الَّتِي تُحِيْطُ بِالْعَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ مِمَّا يَتَطَلَّبُ تَنْوِيْعًا جَادًّا فِي أَشْكَالِ الْخُطَابِ وَمَا عُصَبَةُ الْكُومِيْدِيَا سِوَى وُلُوجٍ إِلَى هَذَا الْعَرَضِ، وَلَا ضَيْرَ أَنْ يَسْتَحِيلَ الشَّاعِرُ الْحَدَائِيُّ فِي ضَوْءِ هَذِهِ الْمَتْرَاكِمَاتِ كَائِنًا سَاحِرًا لَوْذَعِيًّا يُبْطِنُ إِنتِقَادَاتِهِ فِي كَلِمَاتٍ مُفْخَخَةٍ وَمُوجِرَةٍ يَكُونُ وَقَعُهَا فِي الْوَجْدَانِ أَشَدَّ مِنْ وَقَعِ السَّنَانِ<sup>19</sup>، وَانْتَبَدَّتِ الشَّعْرِيَّةُ النَّزَارِيَّةُ لِنَفْسِهَا مَكَانًا قَصِيًّا مِنَ التَّوَقِيعَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْهَزْلِيَّةِ الَّتِي سُوِّتَ عَلَنًا لِابْتِرَازِ مَوَاكِبِ الْكُتَّابِ وَالشُّعْرَاءِ الْمَتَّحَمِهْرِينَ قُدَّامَ عَتَبَاتِ الْحَاكِمِ مُتَوَسِّلِينَ عَطْفَهُ، وَمُسْتَجِدِّينَ عَطَايَاهُ.

إِنْ رَضِيَ الْكَاتِبُ أَنْ يَكُونَ مَرَّةً دَجَاجَةً

تُعَاشِرُ الدُّبُوكَ . . . أَوْ تَبِيضَ أَوْ تَنَامَ

فَاقْرَأْ عَلَى الْكِتَابَةِ السَّلَامِ

لِلْأَدْبَاءِ عِنْدَنَا نَقَابَةٌ رَسْمِيَّةٌ



## تُشْبِهُ فِي تَشْكِيلِهَا نَقَابَةَ الْأَغْنَامِ

اجْتَبَى الشَّاعِرُ مِنْ مُدَّخِرَاتِهِ التَّوصِيفِيَّةَ الثَّرَّةَ، صُورَةَ كَارِيكاتُورِيَّةٍ مُضَمَّخَةٍ بِالرَّسَائِلِ الْمَلْعُورَةِ إِذْ لَمْ يَجِدِ الشَّاعِرُ وَقْتًا بُدًّا مِنْ مُعَايِرَةِ الْكُتَّابِ بِالذَّجَاجَاتِ الطَّيِّعَةِ، وَالْأَدْبَاءِ بِالْأَغْنَامِ السَّائِمَةِ فِي سَرْدِيَّةٍ عَثِيَّةٍ يَبْدُو أَنَّهَا اِكْتَوَتْ بِالْمَخْرَجَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الَّتِي شَهَدَتْهَا الْجُغْرَافِيَا الْعَرَبِيَّةُ، كَوْنِ الْقَرِيضِ الشَّعْرِيِّ خُصُوصًا وَالْأَجْنَاسِ النَّثْرِيَّةِ عُمُومًا أَضَحَتْ جُزْءًا أَسَاسِيًّا مِنْ قُطْبِي الصَّرَاحِ الْمَضْطَرِمِ بَيْنَ الْإِسْتِبْدَادِ وَالْإِصْلَاحِ، وَقَدْ قُوبِلَ الْكُتَّابُ وَالشُّعْرَاءُ الَّذِينَ آثَرُوا التَّخَنُّدُقَ مَعَ السُّلْطَةِ بِالْهَجَاءِ الْمَقْدَعِ مِنْ طَرَفِ الشَّاعِرِ لَا حَسَدًا مِنْ لَدُنْهِ لِمَا يَجْنُوهُ مِنْ مَغَامٍ مَادِّيَّةٍ وَإِعْلَامِيَّةٍ جَمَّةٍ، وَإِنَّمَا خَوْفًا مِنْهُ عَلَى أَدَبِنَا مِنْ أَنْ يَغْتَدِي أَدَبَ اسْتِرْحَاءٍ وَيَصْبِحَ شُعْرَاؤُنَا مُطْرِبِينَ فِي مَجَالِسِ اللَّهْوِ<sup>20</sup>.

لَقَدْ انْبَرَى الشَّاعِرُ لِلدَّفَاعِ عَنِ شَرَفِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَصَوْنِ أَلْفَاظِهَا الشَّرِيفَةِ مِنَ الْإِبْتِدَالِ بِمُهَاجِمَةِ الْأَصْوَاتِ النَّقْدِيَّةِ الْمِحْدَبَةِ، الْمُبَوَّءَةِ بِخُمَى الْبَلَاطِ وَالَّتِي لَطَمًا نَافَحَتْ مِنْ أَجْلِ تَحْيِيدِ الْقَصِيدَةِ الشَّعْرِيَّةِ عَنِ مُعْتَرَكَاتِهَا الْأَسْمَى وَإِفْرَاقِهَا مِنْ مَحْتَوَاهَا الْوُجُودِيَّ الْحَقِيقِيَّ.

وَتَسْتَمُرُّ مَغَامِرَةُ الشَّاعِرِ الْمَتَّجِهَةِ صَوْبَ اسْتِبْلَادِ دُرَى مِنَ الْأَسَالِيبِ الْكُومِيدِيَّةِ الرَّاجِمَةِ لِحُصُونِ خُصُومِهِ وَلَوْ بَدَأَ لَهُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ بِالضَّبْطِ أَنْ يَسْتَدِيرَ إِلَى مُنَاكِفَةِ السُّلْطَانِ الْعَرَبِيِّ نَفْسَهُ، دُونَ حَاجَتِهِ إِلَى هَمْزٍ وَسَطَائِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْكُتَّابِ وَالْأَدْبَاءِ مِمَّنْ شَكَّلُوا وَاجَهَتَهُ التَّرْزِينِيَّةَ وَقُوَّتَهُ النَّاعِمَةَ الْمَتَدَرِّعَ بِهَا فِي سَبِيلِ تَحْرِيفِ وَشْيِ الْكَلِمَةِ عَنِ سِيَاقِهَا التَّدَاوُلِيِّ الْمَحْضِ.

يَقُولُ الشَّاعِرُ مَتَهَكِّمًا لِمَا بَاءَتْ بِهِ الْأَوْضَاعُ الدَّاخِلِيَّةُ لِلْوَطَنِ مِنْ كَسَادٍ<sup>21</sup>:

أَوْقَفُونِي . . .

وَأَنَا أَضْحَكُ كَالْمَجْنُونِ وَحَدِي

مِنْ خِطَابِ كَانَ يُلْقِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

كَلَّفْتَنِي ضِحْكَتِي عَشْرَ سِنِينَ

سَأَلُونِي فِي غُرْفَةِ التَّحْقِيقِ عَمَّنْ حَرَّضُونِي

فَضِحْتُ . . . وَعَمَّنْ مَوْلُونِي . . . فَضِحْتُ

كَتَبُوا كُلَّ إِفَادَاتِي وَلَمْ يَسْتَجِيبُونِي

قَالَ عَنِّي الْمُدَّعِي الْعَامِّ

وَقَالَ الْجَنْدِيُّ حِينَ اعْتَقَلُونِي

إِنِّي ضِدُّ الْحُكُومَةِ

لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ الضَّحْكَ

يَحْتَاجُ لِتَرْخِيسِ الْحُكُومَةِ

ولأنّ معدن السُّخرية مرده التّناهي في سرد المبيكات، يشرعُ الشّاعر في تصميم نُقلاته الشعريّة في قالب حكائيّ تتخاصّب فيه الرّؤية التراجيديّة بالملمح الكوميديّ المتوتّب نحو إقتفاء مفارقةٍ أرييةٍ أُغفلت في السنن الشعريّ، تَهْفُو إلى مُناوشة المطمور المضمن في خانة المحظورات وتعرية إيهابه المقدّس بالتطاؤل على مقامات الحاكم العربيّ الأثيرة، وَزجر حشمه وخدمه كونهم ألوا على أنفسهم الطّاعة العمياء، ونكبوا في دواخلهم الكياسة والجرأة التي تُحوّل لهم تذكيره بطواير من المفقودات في مجال العدالة والحريّات .

وعندما يشرعُ القارئ بقراءة المقبوس الشعريّ الذي يتخذ شكل حكاية سيعتوره بلا أدنى شكّ مقطع سرديّ استباقي - أوقفوني - الذي يوحي بإقتراف الشّاعر لجريرة جنائيّة كبرى تُشعرُ المتلقيّ بالسُّخط وبالامتعض إنباهه لكنّ هذا المعطى الشعوري الوافد سرعان ما يتبدّد وتحمي أصدأه بعد أن كسرت عبارته - وأنا أضحك كالمجنون وحدي - سياق الحكّي لِمَا لها من تعزيز حسّ الدُّعابة بعد أن ساد حسّ الرّصانة والرّزانة .

ولا مندوحة أن يلتجأ الشّاعر إلى تحقيق عنصر المفاجأة وإثارة الدهشة في المتلقيّ عبر تشنيج محطّات الحكّي وتأثير منصّاتها بتيمات إجتماعيّة وسياسيّة مُضادة تفتقد للتجانس العضويّ والتضايغ السردية المعقّلت كون مراميها المقصدية تصبو إلى تطويح المتن بأنساقه السُّلطويّة المتنفّدة وإعلاء الهامش بمضمّراته الخطابية وأصواته المقمّوعة .

ويتنقل الحكّي من طور الوصف إلى طور المساءلة، مساءلةً أُنيط بها أن تُعلّق في مخافر الأمن الصّارمة استداراً لأجوبة وافية تظال حينيّات الجريمة وملايساتها وكذا معرفة الأفتعة الخفية المتواطئة مع الشّاعر التي حرّضته ومولته على إقتراف جرمه - الضّحك عياناً - الموفي إلى نسج مؤامرة تُحاك خيوطها ضدّ الأمن القوميّ .

ويتصدّر المشهد الختاميّ إعلان المدّعي العامّ مقال الإدانة دوّمًا تريث زاجًا به في غياهب الرّزانة، وردّه الشّاعر العفوية - لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ الضَّحْكَ يَحْتَاجُ إِلَى تَرْخِيسٍ - في صورة شعريّة طافحة بهدير الرُّعب همّ بمقاضاة ولو صورياً الفضايات السياسيّة المتعقّنة الحاضنة لأنظمة شموليّة إستبداديّة تتطير من الضّحك وتُعادي الفضائل والقيم المثلى .

ولعلّ استمساك الشّاعر بناصية الأساليب الهزليّة هو نتيجة حتمية لشوؤ عوارض إجتماعيّة وسياسيّة أخلّت بالبنية الشعوريّة العربيّة نُوردها إجمالاً :

- بداية تهاوي المؤسسة الأخلاقية العربية الأصيلة بمختلف مكوناتها القيمية ( شهامة ، كرم، درء الضيم ) في مقابل نشوب سلوكيات اجتماعية فجّة دخيلة عن الشخصية العربية الأصيلة ( تهميش المثقف وابتدال أقاله، مُهادنة الجائر واستحسان أفعاله) .

- ظهور دوائر سلطوية استبدادية لا تترك هامشاً للحريّة، وكما هو متعارف فإنّ الحرّيّة هي المغدّية الأساسيّة للقرينة الشعريّة، ذلك أنّ التّخيل المتحالف مع المرانّات التّشكيلية النّاضجة، يقتضي التّمص من عالم المثل وكذا الثّوابت المدرجة في خانة اليقينيّات، فالأسلوب الشعريّ السّاحر مجازٌ مضادٌ يتسلّل على استحياءٍ في القصيدة ليبرز الوعيّ الوجوديّ للشّاعر المعتدّ بإنسانيّته الرّافضة لكلّ أشكال الهيمنة، وصنوف العذابات النّفسيّة والجسديّة .

ثالثاً : مدارات التّفجّية والتّوتّر :

لن تستكف الشعريّة الحدائثيّة على إعادة تبصّر العالم وإضاءته إضاءةً جديدةً بناءً على مُقاربة منهجيّة شموليّة تقوم جذريّاً على تكثيف مدارات التّفجّية، فنصوّراتنا لهذا الوجود يتغشّاه حجابٌ كثيف فلا يتسنى لنا بالتّالي استبصار كينونته الحقيقيّة، لكنّ التّسؤل بتلابيب الأنساق الشعريّة النازحة هو الأليق في هذا المقام لتمييق تلك السّجوف التّخينة خالقةً بذلك حسّاً بالفجوة وهي مسافة التّوتّر بين صورتها الأولى الرّائفة وصورتها الحقيقيّة بين ظاهرها وباطنها وبين عاديّتها وإدهاشيتها<sup>22</sup>، والشّاعر الماتع لقراءته، المجدد في إيقاعه، والحريّف في تمّذجة خيالاته المتفلّته بحسب بول ريكور Paul rikoure هو ذاك العبقرّيّ الذي يخلق انفصّامات إشاريّة عن طريق خلق الاختلاف<sup>23</sup>، ولكأنّ القصيدة أضحت وقتئذٍ بنيةً إشاريّة توتّريّة تنتفي عن نفسها كلّ شروط التّمثّلات الخطابيّة والتّناسحات اللفظيّة المستفعاة من الدّوائر الكلاميّة المعتادة، والتي لا يربو مؤشّرها التّداويّ فوق الدّرجة الصّفر وتبصم على نسقيّة مُغايرة تتكشّف بالعدول عن دائرة الاحتمالات النّظميّة غداة عمليّة الإنشاء الفعّيّ أو من خلال تشبيك القصيدة بأبنية مضادّة تتشابك في المبنى الشعريّ بصفة آليّة مطّردة، أو عبر تحويّة الرّمز الشعريّ من مدلولاته الجوّانيّة وجعله دالّاً حرّاً يعلّق على مشجبه مدلولات إضافيّة تتعارض كُليّاً مع مدلوله الأصليّ المتواضع عليه قبلاً.

تعدّ تلك الإستراتيجيّات الفنيّة التي أخذ الشّاعر يُبديها في مُنجزه الشعريّ توطئةً حاسمةً لتجسير مسافات توتّريّة بين المتلقّي وما يحورّه من قراءات إستشاديّة، تعينه لإقحام سُدّة النّصّ من جهة وبين النّصّ ذاته من جهة أخرى الذي يتهمياً للتّمظهر في هيئة مُغايرة تُخالق تجارب مُريديه وتُجهض توقّعاتهم وافترضاّتهم المسبقة.

وتستنفّر قصيدة هوامش على دفتر النّكسة<sup>24</sup> حُدوس القراء وآفاقهم الإستكشافيّة، وتدعوهم للمداومة على الإيغال في التّجاويف النّصيّة الممتدّة بُعية تحقيق إستبار حقيقيّ لقياس عمق تلك الفجوات التّوتّريّة التي تُحيط

القصيدة بتلايف من المعاني المضمّنة، العصيّة على كلّ قراءة ساذجة تستهدف فقط الظاهر المتجلّي، دون الإعنات في تقفّي المقادير الجماليّة الوافية التي فوّضت للشاعر دمج ما لا يمكن أن يُدمج في حواصل قصيدة حُبلى بالمفاجآت  
 في كلّ عشرين سنة  
 يجيئنا مهيار  
 يحمل في يمينه الشمس  
 وفي شماله النهار  
 ويرسم الجنّات في خيالنا  
 وينزل الأمطار  
 وفجأة يحتل جيش الرّوم كبرياننا  
 وتسقط الأسوار

يتصدّر المقطع الشعريّ ميقاتٌ زمنيّ يجهل القارئ سبب حضوره ما لم يرتكن إلى الإطار التاريخيّ الذي قد يُجلى عنه عناء البحث ويطردّ عوائل الإيهام، فعشرون سنة التي انتقاها الشاعر بالضبط هي الفترة المريرة التي تفصل بين التّكبتين المتّمخض عن سنواتها العجاف سرطان إسرائيل .

أ - نكبة 1948 : وهي الفاجعة التي ألمت بالعرب بعد فشلهم في الدّود عن عربهم وتفاعسهم عن صدّ جحافل اليهود الغازية التي اتّخذت من فلسطين مستقرّاً دائماً مُخالفين المواثيق الدّوليّة والشّرائع السّماوية الرّادعة لكلّ مُغتصب أمعن في سلّب حقوق غيره .

ب - نكسة 1967 : ما إن شرع العرب في إسترجاع أنفاسهم وترتيب أوضاعهم حتّى فوجئوا بنكسة أخرى تفرّقوا عقبها نازحين ومشرّدين شدّر مدرّ.

وبين التّكبة والنّكسة يندفع مهيار مترجلاً في سردية لاهوتيّة يشرب من ورائها نزار قباني إلى اللّوذ بالأسطورة من مساوي التاريخ ونوابه العسيرة، لكنّ المريب في الأمر والذي بموجبه انسدت القنوات التّأويلية وتفاقت مُعضلة الإستقرّات النّمودجية لعجزها عن إبراز موضع الدّفين في القصيدة هو مُغالاة الشاعر في وصف شخصيّة مهيار، حيث ألفيناه يلبسه لبوساً أسطوريّاً شبيهاً بذلك الذي تناقلته كتب الأوديسا والإلياذة، فهو من يسوي قوانين الطّبيعة ويحمل الشمس بكفة الأيمن والقمر بكفه الشمال وينزل الأمطار ويُرهم المراعي والجنّان وما أجج الوقيعة أكثر هو شخصيّة مهيار وانتمائها الثّقافيّ الملغم بالأيديولوجيات الملتبسة والمعتقدات الشّائنة التي أغضبت

الفُقهاء المسلمين، يروي ابن خَلِّكان في كتابه وفياتُ الأعيان أن أبا الحسن بن مِهيار بن مَزرويه كان مجوسياً ويُقال أن إسلامه كان على يد الشَّريف الرُّضِيِّ الذي تعلَّم منه فنون الشُّعر ونظُم عُيون الأدب<sup>25</sup>، بيد أنه بُعيد ذلك بقليل ارتدَّ عن الإسلام وصار مُشايحاً لدين أجداده المَجُوس .

بل وطفق يستهجنُ نُظم البداوة العربيَّة ومنتجاتها الثَّقافيَّة واللُّغويَّة معزِّزا دعائم الحركة الشُّعبيَّة التي لطالما عابت العرب وازدرت نسبهم، وأمعتت في خصام أيُّهوناتهم الفكرية والفلسفيَّة والبلاغيَّة، والأُنكى من ذلك كلُّه ارتطامُ القارئِ بجبيبة طارئةٍ انضافت إلى ما قبلها جسدها الومضة الشُّعريَّة الخاطفة - وفجأة - المباشرة بالتَّوازل الضَّارية إذ تماوت القلاعُ الأحيوة - تكنيةً عن المشروع الامبرياليِّ، واحتاح الرُّوم كبرياء العرب إيداناً بميلاد نظريَّة شرق متخلِّف رجعيٍّ وغرب تطوُّريٍّ تقدُّميٍّ وتنشطُ الخيبةُ في السِّياق الشُّعريِّ إلى خيبتين خيبةُ القارئ من مِهيار من صارع الطَّبيعة فألاها لكنَّه عجز في الدُّب عن عرين العرب، وخبية القارئ من الشَّاعر ذاته لِاجتلابه من الثُّراث شخصيَّة مارقةٍ موعلةٍ في الشُّعبيَّة السَّمجة ودمجها في أتون قصيدةٍ تصيحُ عروبةً .

ولا عرواً أن يكون إستجداء مِهيار تثيرياً لهذه الأُمَّة التي عافت عُروبتهَا وطلَّقت قوميتها طالبةً الخلاص فنحرت نفسها بنفسها و ضيَّعت أنفَسَ ما تملك الهويَّة الموحَّدة والعروبة الجامعة.

وركحاً على ما سيق فإنَّ مدارات التَّوتُّر التي إستتارت القارئ وحرضته لكي يُقلِّب أبنية النَّصِّ بحثاً عن موطن الدَّفنين والرَّائز المثير هي كالتَّالي :

أ - العتبهُ التي تُحيلُ إلى الزَّمن في كلِّ عشرين سنة .

ب - لفظه فجأة المفضيَّة إلى ومضاتٍ شعريَّة تراجيديَّة تندغمُ فيها لحظاتُ الإهزام بفواجع الإنكسار .

ت - الصُّورة البصريَّة المتحرِّكة ذات الطَّابع الأسطوريِّ .

الخاتمة:

توصَّلنا في ختام هذه الورقة البحثيَّة إلى جُملةٍ من النَّتائج نُوردها كالتَّالي :

أ - إنَّ إنسراب نزار قبَّاني من مضايق الكتابة الغزليَّة وولوجه لدهاليز الشُّعريَّات السياسيَّة مرَّده التَّكبة الهوجاء التي عَصفت بالوطن العربيِّ، مُشكِّلاً بذلك لحظاتٍ من المعايَرة بِارتياحه مسلِّكاً شعريًّا ملعماً، مُحيِّباً به ظُنونَ قرائه.

ب - يستعير النَّصُّ الشُّعريُّ الحدائثُ جَذوةً نشاطه انطلاقاً من جدليَّة التَّعابير والتَّفارق بين خطابين تشدُّ عليهما القصيدةُ سواعدها :

1 - خطابٌ ظاهريٌّ تنفَعَم به القصيدة لحظةً خروجها من عالم الكتابة إلى عالم القِراءة .

2 - خطابٌ عميق يتوارى في البُور النَّصائبيَّة العميقة و يُسرِّب القصيدة بسدِّمٍ من العُموض والتَّعمية .

- ج - يروم الأسلوب الكوميديّ إلى تحطّي عقابيل القراءة السُلطويّة التي لطالما أخضعت القصيدة السياسيّة إلى غريبة دقيقة بغية طمس الخليع والمثير منها وجعلها طيّعة خاضعة لا مارقة .
- ح- تنماز شعريّات نزار قباني بموجات عالية من الانقطاع الذي نلفيه ساريًا بين مُكتنفات القصيدة بصيغة دوريّة شاملا البنية الإفراديّة فالجملة فالنص برُمته.
- خ- المغايرة في نسقها التداولي وبُعدها الإصطلاحِي هي ثورة ضدّ الومضات السُكونيّة التي اعتورت النّسق الشعريّ العربيّ كونه انتبذ لنفسه أفقًا ضيقًا لا يكاد يبارح ما قرّره الأقدمون من وصايا ومقرّرات إغدت مقامات ضروريّة تصلح لكلّ الأزمنة المتعاقبة ممّا أنتج خطابات شعريّة مُتمائلة معدومة الأثر وكذا منزوعة من أسيقتها الآنيّة.

- 1 - صالح بوسريف، المغايرة والاختلاف في الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1998، ص25.
- 2 - رولان بارت، لذة النص، تر: حمد ندم خشفة، مركز الانماء الحضاري، ط1، 2002، ص25.
- 3 - كمال أبو ديب، لغة الغياب في قصيدة الحدائة، مجلة فصول، العدد 3 - 4، مصر، يوليو 1989، ص103.
- 4 - مسلم شجاع العاني، قراءات في الأدب والنقد، منشورات اتحاد كتّاب العرب، سوريا، ط1، 1999، ص18.
- 5 - نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، منشورات نزار قباني، بيروت، ط6، 2000، ص646.
- 6 - جوناثان بيبير، الجرد التاريخ الطبيعي والثقافي، تر: معن أبو الحسن، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2010، ص15.
- 7 - محمد لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية، اطلالة على مدار الرعب، دار سارس، تونس، ط1، 1992، ص172.
- 8 - نزار قباني، المرجع السابق، ج3، ص306.
- 9 - عصام شرتح، نزار قباني، بحث في علم الجمال النصي، دار عاقل للنشر والدراسات والترجمة، دمشق، ط2017، ص182.
- 10 - رولان بارت، المرجع السابق، ص64.
- 11 - الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق صديق محمد المناشوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط1، دت، ص149.
- 12 - نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، منشورات نزار قباني، لبنان، ج7، 1986، ص474.
- 13 - ابن طباطب العلوي، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2005، ص2، ص12.
- 14 - نزار قباني، المرجع السابق، ج3، ص170.
- 15 - محمد مفتاح، استراتيجيات التناس (تحليل الخطاب)، دار التنوير، بيروت، ط1985، ص1، ص155.
- 16 - الطاهر بن عاشور، تحرير التنوير، ج2، الدار التونسية للكتاب، ط1، 1984، ص264.
- 17 - نزار قباني، تنويعات نزارية على مقام العشق، منشورات نزار قباني، لبنان، ط1، 1993، ص77.
- 18 - محمد صابر عبيد، شفرة أدونيس الشعرية سيمياء الدال ولعبة المعنى، منشورات الاختلاف، ط2009، ص1، ص35.
- 19 - ينظر: أحمد العوي، في الشعر المغربي المعاصر، دورة أحمد المجاطي الأكاديمية، دار طوبقال للنشر، المغرب، ط2003، ص1، ص22.
- 20 - أحمد العرود، جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث، دار الكتاب العربي، الأردن، ط2008، ص1، ص160.
- 21 - نزار قباني، المرجع السابق، ج3، ص263.
- 22 - كمال أبو ديب، بحث في الشعرية، مجلة مواقف، لبنان، العدد46، أبريل 1986، ص105.
- 23 - ينظر: المرجع نفسه، ص106.
- 24 - نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، لبنان، ج6، ط1999، ص2، ص499.
- 25 - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1977، ص1، ص359.